الرسالة المدنية

في تحقيـــق

المجاز والحقيقة في صفات الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام : السلام على النبي ورحمة الله و بركاته ، السلام على جيرانه سكان المدينة الطيبة من الأحياء والأموات ، من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين ورحمة الله و بركاته إلى الشيخ الإمام العارف الناسك شمس الدين كتب الله في قلبه الإيمان ، وأيده بروح منه وآتاه رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه علما ، وجعله من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين ، وخاصته المصطفين ، ورزقه اتباع نبيه باطنا وظاهراً ، واللحاق به فى الدنيا والآخرة إنه ولى ذلك ، والقادر عليه .

سلام عليكم ورحمة الله و بركاته (و بعد) فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شىء قدير ، وأسأله أن يصلى على صفوته من خلقه ، وخيرته من بريته ، محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين كثيرا ، كما هو أهله ، وكما ينبغى لكرم وجهه ، وعز جلاله ، وقد وصل ما أرسلتم من الكتب الثلاثة ، ونسأل الله ونرجو منه أن يكون ما قضاه من مرض ونحوه من مصائب الدنيا مبلغا لدرجات قصر عنها العمل وسبق فى أم الكتاب أنها ستنال ، وتكون الخيرة فيما اختاره الله لعباده المؤمنين ، وقد علمنا من حيث العموم أن الله لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له . ونسأل الله أن يتولاكم بحسن رعايته ويحقق لكم مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) ولا حول ولا قوة إلا به ، مع أنا نرجو أن تكون رؤية التقصير وشهادة التأخير عن نعمة الله على عبده المؤمن التى يستوجب بها التقدم ويتم له بها النعمة ويكفى بها مؤونة شيطانه المزين له سوء عمله ، ومؤونة نفسه التى تحب أن تحمد بما لم تفعل ، وتفرح بما أتت ، وقد قال سبحانه وتعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «هو الرجل يصوم ويصلى و يتصدق ويخاف ألا يقبل منه » وفى أثر أظنه عن عمر أو ابن مسعود من قال أنه مؤمن فهو كافر ومن قال أنه فى الجنة فهو فى النار وقال والله الذى لا إله

غيره ما من أحد على إيمان ويسلبه عند الموت إلا يسلبه (؟) وقال أبو العالية أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف على نفسه النفاق ، وقال الصديق رضى الله عنه إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وذكر أهل النار فذكرهم بأقبح أعمالهم فيقول الرجل أين أنا من هؤلاء يعنى وهو منهم ـ هذا الكلام أو قريباً منه ـ فليبرد القلب من حرارة هذه الشهادة أنها سبيل مهيع لعباد الله الذين أطبق شهداء الله فى أرضه أنهم كانوا من الله بالمكانة العالية مع أن الأزدياد من هذه الشهادة هو النافع من الأمر الغالب ما لم يفض إلى تسخط للمقدور وإياس من روح الله أو فتور عن الرجاء والله تعالى يتولاكم ولا يكلكم إلى أحد غيره .

وأما ما ذكرت من الأسباب الأربعة التى لا بد فيها من صرف الكلام من حقيقته إلى مجازه فأنا أذكر ملخص الكلام الذى جرى بينى وبين بعض الناس فى ذلك وهو ما حكيته لك وطلبته وكان إن شاء الله لك ولغيره به منفعة على ما فى الحكاية من زيادة ونقص (قال لى بعض الناس) إذا أردنا أن نسلك طريق سبيل السلامة والسكوت وهى الطريقة التى عليها السلامة قلنا كما قال الشافعى رضى الله عنه: آمنت بالله و بما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا سلكنا طريق البحث والتحقيق فإن الحق مذهب من يتأول آيات الصفات وأحاديث الصفات من المتكلمين (فقلت) له أما ما قال الشافعى فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده، ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه، فإنه سلك سبيل السلامة فى الدنيا والآخرة، وأما إذا بحث الإنسان وفحص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذى يخالفون به أهل الحديث كله باطلا، وتيقن أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهرا فاستعظم ذلك وقال: أتحب لأهل الحديث أن يتناظروا فى هذا، فتواعدنا يوما فكان فيما تفاوضناه أن أمهات المسائل التى خالف فيها متأخرو المتكلمين ممن ينتحل مذهب الأشعرى لأهل الحديث

مسائل . وصف الله بالعلو على العرش ، ومسألة القرآن . ومسألة تأويل الصفات (فقلت) له نبدأ بالكلام على مسألة تأويل الصفات ، فإنها الأم والباقى من المسائل فرع عليها ، وقلت له : مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق ، وتصان عن تأويل يفضى إلى تعطيل ، وتكييف يفضى إلى تمثيل وقد أطلق غير واحد ممكن حكى إجماع السلف منهم الخطابى مذهب السلف أنها تجرى على ظاهرها مع نفى الكيفية والتشبيه عنها ، وذلك أن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية فنقول إن له يداً وسمعاً ولا نقول أن معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم (وقلت له) : وبعض الناس يقول مذهب السلف أن الظاهر غير مراد ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد وهذه العبارة خطأ إما لفظا ومعنى ؛ أو لفظا لا معنى لأن الظاهر قد صار مشتركا بين شيئين أحدهما : أن يقال إن اليد جارحة مثل جوارح العباد ، وظاهر الغضب غليان القلب لطلب الإنتقام ، وظاهر كونه فى السماء أن يكون مثل الماء فى الظرف فلا شك أن من قال هذه المعانى وشبهها من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والأحاديث فقد صدق وأحسن إذ لا يختلف أهل السنة أن الله تعالى ليس كمثله شىء لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة ، لكن هذا القائل أخطأ حيث ظن أن هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والأحاديث وحيث حكى عن السلف مالم يقولوه ، فإن ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام ، وليست هذه المعانى المحدثة المستحيلة على الله تعالى هى السابقة إلى عقل المؤمن بل اليد عندهم كالعلم والقدرة ولذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضا تدل على

حدوثنا يمتنع أن يوصف الله تعالى بمثلها فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجسام محدثة لا يجوز أن يوصف الله تعالى بمثلها ، ثم لم يقل أحد من أهل السنة إذا قلنا إن لله علما وقدرة وسمعا و بصراً أن ظاهره غير مراد ثم نفسره بصفاتنا فكذلك لا يجوز أن يقال أن ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال إن ظاهر شيء من أسمائه وصفاته غير مراد فقد أخطأ لأنه ما من إسم يسمى الله به إلا والظاهر الذى يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يفضى إلى أن يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الفساد (والمعنى الثانى) أن هذه الصفات إنما هى صفات الله سبحانه وتعالى على مايليق بجلاله نسبتها إلى ذاته المقدسه كنسبه صفات كل شيء إلى ذاته فيعلم أن العلم صفة ذاتية للموصوف وله خصائص، وكذلك الوجه ولا يقال أنه مستغن عن هذه الصفات ،لأن هذه الصفات واجبة لذاته و إلا له المعبود سبحانه هو المستحق لجميع هذه الصفات وليس غرضنا الآن الكلام مع نفاة الصفات مطلقا و إنما الكلام مع من يثبت بعض الصفات. وكذلك فعله فعلم أن الخلق هو ابداع الكائنات من العدم وإن كنا لا نكيف ذلك الفعل ولا يشبه أفعالنا إذ نحن لا نفعل إلا لحاجة إلى الفعل والله غنى حميد وكذلك الذات تعلم من حيث الجملة و إن كانت لا تماثل الذوات المخلوقة ولا يعلم ماهو إلا هو ولا يدرك لها كيفية فهذا هو الذى يظهر من إطلاق هذه الصفات وهو الذى يجب أن يحمل عليه فالمؤمن يعلم أحكام هذه الصفات وهو الذى أريد منه فيعلم أن الله تعالى على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، وأن المؤمنين ينظرون إلى وجه خالقهم فى الجنة و يتلذذون بذلك لذة ينغمس فى جانبها جميع اللذات ونحو ذلك كما يعلم أن له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب .

(قلت له) أفيجوز أن يقال أن الظاهر غير مراد بهذا التفسير فقال لا يمكن

هذا فقلت له من قال : أن الظاهر غير مراد بمعنى أن صفات المخلوقين غير مرادة قلنا له أصبت فى المعنى لـكن أخطأت فى اللفظ ، وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا إلى غرضهم وكان يمكنك أن تقول تمر كما جاءت على ظاهرها مع العلم بأن صفات الله تعالى ليست كصفات المخلوقين وأنه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوثه أو نقصه، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثانى، وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والأشعرية وغيرهم، فقد أخطأ ثم أقرب هؤلاء الجهمية الأشعرية يقولون :أن له صفات سبع الحياة والعلم والقدرة والإرادة والـكلام والسمع والبصر و ينفون ماسواها وغلا يهم يقطعون بنفى ماسواها، وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات مطلقا و يثبتون أحكامها وهى ترجع عند أكثرهم إلى أنه عليم قدير .

وأما كونه مريدا متكلما فعندهم ، أنها صفات حادثة أو اضافية أو عدمية وهم أقرب الناس إلى الصابئين الفلاسفة من الروم ومن سلك سبيلهم من العرب والفرس ، حيث زعموا أن الصفات كلها ترجع إلى سلب أو إضافة أو مركب من سلب و إضافة فهؤلاء كلهم ضلال مكذبون للرسل ، ومن رزقه الله معرفة ماجاءت به الرسل و بصرا ناقداً وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء علم قطعا أنهم يلحدون فى أسمائه وآياته ، وأنهم كذبوا بالرسل والـكتاب ، و بما أرسل به رسله ولهذا كانوا يقولون البدع مشتقة من الـكفر وآيلة إليه ، ويقولون أن المعتزلة مخانيث الجهمية والفلاسفة ، والأشعرية مخانيث المعتزلة وكان يحيى بن عمار يقول المعتزلة الجهمية الذكور والأشعرية الجهمية الأناث ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفـات الخبرية . وأما من قال منهم بكتاب الأبانة الذى صنفه الأشعرى فى آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهـذا يعد من أهل السنة لـكن مجرد الانتساب إلى الأشعرى بدعة لا سيما و (أنه) بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة و ينفتح بذلك أبواب شر والـكلام فى هؤلاء الذين ينفون ظاهرها بهذا التفسير .

(قلت له) إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بهـا رسوله صلى الله عليه وسلم أو وصفه بهـا المؤمنون الذين أتفق المسلمون على هـدايتهم ودرايتهم فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه وتعـالى وحقيقتها المفهومة منهـا إلى باطن يخـالف الظاهر ومجاز يخـالف الحقيقة لابد فيه من أربعة أشيـاء (أحدها) أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى لأن الـكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا بلسان العرب ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها فلابد أن يكون ذلك المعنى المجـازى ممـا يراد به اللفظ وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى ناسخ له وإن لم يكن له أصل فى اللغة (الثانى) أن يـكون معه دليل يوجب صرفه اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل فى معنى بطريق الحقيقة وفى معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجازى بغيردليل يوجب الصرف باجماع العقلاء. ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل قاطع عقلى أو سمعى يوجب الصرف وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجع للحمل على المجاز (الثالث) أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض وإلا فإذا قام دليل قرآنى أو إيمانى يبين أن الحقيقة مرادة أمتنع تركها. ثم إن كان هذا الدليل (نصا) لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهرا فلا بد من الترجيح (الرابع) أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين الأمة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما فى الخطاب العلمى الذى أريد منهم فيه الأعتقاد والعلم دون عمل الجوارح. فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً وهدى وبيانا للناس وشفاء لما فى الصدور، وأرسل الرسل لتبين للناس ما نزل اليهم، ولتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ثم هذا الرسول الأمى العربى بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات

ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما وأنصحهم للأمة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره ، أما بأن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس مايؤتاه مثلها . وكذلك قوله (خالق كل شيء) يعلم المستمع أن المراد الخالق لا يدخل فى هذا العموم ، أو سمعياً ظاهرا مثل الدلالات فى الكتاب والسنة التى تصرف بعضها الظواهر ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفى لا يستنبطه إلا أفراد الناس سواء كان سمعياً أو عقليا ، لأنه إذا تكلم بالكلام الذى يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة وخاطب به الخلق كلهم — وفيهم الذكى والبليد والفقيه وغير الفقيه وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه، ثم أوجب أن لا يقصدوا بهذا الخطاب شيئاً من ظاهره لأن هناك دليلا خفيا يستنبطه أفراد من الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره كان تدليسا وتلبيساً وكان نقيض البيان وضد الهدى وهو بالألغاز والأحاجى أشبه منه بالهدى والبيان . فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفى على أن الظاهر غير مراد ؟ كيف إذا كان ذلك الخفى شبهة ليس لها حقيقة ؟ !

فسلم لى ذلك الرجل هذه المقامات .

(قلت) : ونحن نتكلم على صفة من الصفات ونجعل الكلام فيها انموذجا يحتذى عليه ، ونعبر بصفة اليد وقد قال تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى لأبليس (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (تبارك الذى بيده الملك) وقال تعالى (بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) وقال تعالى (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما)

وقد تواتر فى السنن مجىء اليد فى حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله ، وأنه سبحانه وتعالى خلق آدم بيده دون الملائكة و إبليس ، وأنه سبحانه وتعالى يقبض الأرض و يطوى السموات بيده اليمنى وأن يديه مبسوطتان ، ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء لما كان الجود فى الغالب يكون ببسط اليد ومدها وتركه يكون ضما لليد إلى العنق صار من الحقائق العرفية إذا قيل هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقة ، وكان ظاهره الجود والبخل كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) و يقولون فلان جعد البنان وسبط البنان .

(قلت) له فالقائل إن زعم أنه ليس له يد من جنس أيد المخلوقين وأن يده ليست جارحة فهذا حق وإن زعم أنه ليس له صفات زائدة على الصفات السبع فهو مبطل فيحتاج إلى تلك المقامات الأربعة . (أما الأول) فيقول إن اليد بمعنى النعمة والعطية سمى الشىء باسم سببه كما يسمى المطر والنبات سماء . ومنه قولهم : لفلان أياد عندى وقول أبى طالب لما فقد النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

يارب رد راكبى محمداً   رده على واصطنع عندى يدا

وقول عروة بن مسعود لأبى بكر يوم الحديبية : لولا يد لك عندى لم أجزك بها لأجبتك . وقد تكون اليد بمعنى القدرة تسمية للشىء باسم مسببه لأن القدرة هى تحرك اليد يقولون فلان له يد فى كذا وكذا . ومنه قول زياد لمعاوية : إنى قد أمسكت العراق بإحدى يدى و يدى الأخرى فارغة يريد نصف قدرتى ضبط العراق . ومنه قوله (بيدى عقدة النكاح) والنكاح كلام يقال و إنما معناه أنه يقدر عليه وقد يجعلون إضافة الفعل إليها إضافة الفعل إلى الشخص نفسه لأن غالب الأفعال لما كانت باليد جعل ذكر اليد إشارة إلى أنه فعل بنفسه قال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) إلى قوله (ذلك بما قدمت

أيديكم) لأن بعض ما قدموه كلام تكلموا به وكذلك قوله (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) إلى قوله ذلك بما قدمت أيديكم) والعرب تقول يداك أوكتا وفوك نفخ نو بيخا لكل من جر على نفسه جريرة لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وفمه .

(قلت له) ونحن لا ننكر لغة العرب التي نزل بها القرآن فى هذا كله والمتأولون للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه والحدوا فى أسمائه وآياته تأولوا قوله (بل يداه مبسوطتان) وقوله (لما خلقت بيدى) على هذا كله فقالوا : بقدرته وقالوا اللفظ كناية عن نفس الجود من غير أن يكون هناك يد حقيقية بل هذه اللفظة قد صارت حقيقة فى العطاء والجود وقوله (لما خلقت بيدى) أى خلقته أنا وإن لم يكن هناك يد حقيقة .

(قلت له) فهذه تأويلاتهم ؟ قال نعم .

(قلت له) فننظر فيما قدمناه (المقام الأول) أن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل فى النعمة ولا فى القدرة لأن من لغة القوم استعمال الواحد فى الجمع كقوله (إن الإنسان لفى خسر) ولفظ الجمع فى الواحد كقوله (الذين قال لهم الناس) ولفظ الجمع فى الأثنين كقوله (صغت قلوبكما) أما استعمال اللفظ الواحد فى الاثنين والاثنين فى الواحد فلا أصل له . لأن هذه الألفاظ عدد وهى نصوص فى معناها لا تجوز فيها فلا يجوز أن يقول عندى رجل ويعنى رجلين ولا عندى رجلان وهو يعنى به الجنس . لأن الاسم الواحد يدل على الجنس والجنس فى الواحد شائع وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس ، والجنس يحصل بحصول الواحد فقوله (لما خلقت بيدى) لا يجوز أن يريد به القدرة لأن القدرة صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد . ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى فلا يجوز أن يعبر عن النعم التى لا تحصى بصيغة التثنية . ولا يجوز أن يكون لما خلقت أنا لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد

فتكون إضافة تفيد إضافة له إلى الفعل كقوله (بما قدمت يداك) (وقدمت أيديكم) ومنه قوله (مما عملت أيدينا أنعاما) أما إذا أضافوا الفعل إلى الفعل وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله (لما خلقت بيدى) فإنه نص فى أنه فعل الفعل بيده ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقول فعلت هذا بيدى أو فلان فعل بيده إلا وقد يكون فعله بيده حقيقة ولا يجوز أن يكون لا يد له أو يكون له يد والفعل وقع بغيرها وهذا الفرق المحقق يبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، و يبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة قال لى : فقد أوقعوا الاثنين موقع الواحد فى قوله (القيا فى جهنم) و إنما هو خطاب للواحد .

(قلت له) : هذا ممنوع بل قوله (ألقيا) قد قيل تثنية الفاعل كتثنية الفعل والمعنى الق الق ، وقيل إنه خطاب للسائق والشهيد ، ومن قال أنه خطاب للواحد قال إن الإنسان يكون معه اثنان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، فيقول خليلى فإنه يوقع هذا الخطاب و إن لم يكونا موجودين كأنه يخاطب موجودين فقوله (القيا) عند هذا القائل إنما هو خطاب مع اثنين يقدر وجودهما فلا حجة فيه البتة .

(قلت له) المقام الثانى أن يقال هب أنه يجوز أن يعنى باليد حقيقة اليد وأن يعنى بها القدرة والنعمة و يجعل ذكرها كناية عن الفعل لكن ما الموجب لصرفه عن الحقيقة ؟ فإن قلت لأن اليد هى الجارحة وذلك ممتنع على الله سبحانه

(قلت لك) هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بأن له يدا من جنس أيدى المخلوقين هذا لا ريب فيه ، لكن لا يحيله أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات .

قال ليس فى العقل والسمع ما يحيل هذا .

(قلت) فإذا كان ممكنا وهو حقيقة اللفظ فلم ينصرف عنه إلى مجازه و كل

ما يذكره الخصم من دليل يدل على إمتناع وصفه بما يسمى به وصحت الدلالة فيسلم له أن المعنى الذى يستحقه المخلوق منتف عنه وإنما حقيقة اللفظ وظاهره يد يستحقها الخالق كالعلم والقدرة بل كالذات والوجود.

(المقام الثالث) قلت له بلغك أن فى كتاب الله أو فى سنة رسوله أو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهره والظاهر غير مراد وهل فى كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة أو دلالة خفية فإن أقصى ما يذكره المتكلم (قل هو الله أحد) وقوله (ليس كمثله شيء) وقوله (هل تعلم له سميا) وهؤلاء الآيات إنما يدللن على انتفاء التجسم والتشبيه. أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس فى الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه وكذلك هل فى العقل ما يدل دلالة ظاهرة أن البارى لا يد له البتة تليق بجلاله ولا تناسب المحدثات وهل فيه ما يدل على ذلك ولو بوجه خفى. فإذا لم يكن فى السمع ولا فى العقل ما ينفى حقيقة اليد البتة وإن فرض ما ينافيها فإنما هو فى الوجوه الخفية عند من يدعيه وإلا ففى الحقيقة إنما هو شبهة فاسدة. فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وإن الله خلق بيده وأن يديه مبسوطتان وإن الملك بيده وفى الحديث ما لا يحصى، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأولى الأمر لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقته ولا ظاهره حتى ينشأ جهم بن صفوان بعد انقراض عصر الصحابة فيبين للناس ما نزل اليهم على نبيهم ويتبعه عليه بشر بن غياث ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق ؟ وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كل شيء الخراءة ويقول « ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به » « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » ثم يترك الكتاب المنزل عليه، وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم إن ظاهره تشبيه وتجسيم وإن اعتقاد ظاهره ضلال وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه، وكيف يجوز للسلف أن يقولوا

أمروها كما جاءت مع أن معناها المجازى هو المراد وهو شيء يفهمه الأعراب حتى يكون أبناء فارس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار ؟

(المقام الرابع) قلت له أنا أذكر لك من الأدلة الكلية القاطعة الظاهرة ما يبين لك أن لله يدين حقيقة فمن ذلك تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة وامتناعهم عن التكبير عليه فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته أو مجرد إضافة خلقه اليه لشاركه فى ذلك ابليس وجميع المخلوقات قال لى فقد يضاف الشيء إلى الله على سبيل التشريف كقوله (ناقة لله و بيت الله) .

(قلت له) : لاتكون الإضافة تشريفاً حتى يكون فى المضاف معنى أفرده عن غيره ، فلو لم يكن فى الناقة والبيت من الآيات البينات ما امتازا به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة والأمر هنا كذلك ، فإضافة خلق آدم إليه أنه خلقه بيده توجب أن يكون خلقه بيده وأنه قد فعله بيده وخلق هؤلاء بقوله (كن فيكون) كما جاءت به الآثار . ومن ذلك أنهم إذا قالوا : بيده الملك ، أو عملته يداك فهما شيئان أحدهما إثبات اليد والثانى إضافة الملك والعمل إليهما . والثانى يقع فيه التجوز كثيرا (أما الأول) فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة ولا يقولون يد الهواء ولا يد الماء . فهب أن قوله (بيده الملك) قد علم منه أن المراد بقدرته لكن لا يجوز ذلك إلا لمن له يد حقيقة والفرق بين قوله تعالى (لما خلقت بيدى) وقوله (مما عملت أيدينا) من وجهين : (أحدهما) أنه هنا أضاف الفعل إليه و بين أنه خلقه بيده وهناك أضاف الفعل إلى الأيدى (الثانى) أن من لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس كقوله تعالى (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) وقوله (فقد صغت قلوبكما) أى قلبا كما فكذلك قوله (مما عملت أيدينا) .

وأما السنة فكثيرة جدا مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « المقسطون عند

الله على منابر من نور على يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . ارأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يمينه . والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامة » رواه مسلم فى صحيحه والبخارى فيما أظن وفى صحيحه أيضاً عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته بيديه فى السفر » وفى الصحيح أيضاً عن ابن عمر يحكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « يأخذ الرب عز وجل سمواته وأرضه بيديه ـ وجعل يقبض يديه ويبسطها ـ ويقول أنا الرحمن حتى نظرت إلى المنبر يتحرك أسفل منه حتى إنى أقول أساقط برسول الله » وفى رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال « يقول أنا الله الجبار » وذكره وفى الصحيح أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » وما يوافق هذا من حديث الحبر ، وفى حديث صحيح « إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان إختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته » وفى الصحيح « إن الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق أن رحمتى غلبت غضبى » وفى الصحيح أنه « لما تحاج آدم وموسى قال آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ونفخ فيك من روحه » وفى حديث آخر أنه قال سبحانه « وعزتى وجلالى لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان » وفى حديث آخر فى السنن « لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه استخرج منه ذريته فقال هؤلاء

للجنة و بعمل أهل الجنة يعملون : ثم مسح ظهره بيده الأخرى فقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون » .

فذكرت له هذه الأحاديث وغيرها ثم قلت له هل تقبل هذه الأحاديث تأويلا أو هي نصوص قاطعة ؟ وهذه أحاديث تلقتها الأمة بالقبول والتصديق ونقلتها قطراً من بحر غزير . فاظهر الرجل التوبة وتبين له الحق .

فهذا الذى أشرت إليه ـ أحسن الله إليك ـ أن أكتبه وهذا باب واسع ومن لم يجعل الله له نوراً فماله له من نور . ومن يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وسئل رحمه الله

عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل « وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » ما معنى تردد الله ؟ .

فأجاب : هذا حديث شريف رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وهو أشرف حديث روى فى صفة الأولياء . وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا أن الله لا يوصف بالتردد ، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله عالم بالعواقب وربما قال بعضهم أن الله يعامله معاملة المتردد

والتحقيق إن كلام رسول الله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح لأمته منه ولا أفصح ولا أحسن بيانا منه ، فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوأهم أدبا بل يجب تأديبه وتعزيره ويجب أن يصان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الظنون الباطلة

والإعتقادات الفاسدة . والمتردد منا ـ وإن كان تردده فى الأمر لأجل كونه مايعلم عاقبة الأمور ـ لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فإن الواحد منا قد يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب وتارة لما فى الفعلين من المصالح والمفاسد . فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة لا لجهله به كالشىء الواحد الذى يحب من وجه ويكره من وجه كما قيل :

الشيب كره وأكره أن أفارقه فاعجب لشىء على البغضاء محبوب

وهذا مثل إرادة المريض للدواء الكريه بل جميع مايريده العبد من الأعمال الصالحة التى تكرهها النفس هو من هذا الباب وفى الصحيح « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » وقال ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور فى الحديث فإنه قال « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » فإن العبد الذى هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو يحبها ثم اجتهد فى النوافل التى يحبها ويحب فاعلها ، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد إتفاق الإراده وبحيث يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكره محبوبه والرب يكره أن يسىء عبده ومحبوبه ، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه . والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه . فالرب مريد لموته، لما سبق به قضاءه . وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ، وهى المساءة التى تحصل له بالموت . فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه . وهذا حقيقة التردد . وهو أن يكون الشىء الواحد مرادا من وجه وإن كان لابد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده وليس بإرادته لموت المؤمن الذى يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذى يبغضه ويريده . انتهى كلامه رحمه الله .